

نظام التوثيق المعلوماتي في بلاد الرافدين

د. حسين ظاهر حمود^(*)

أ. سعد احمد إسماعيل^(**)

تمهيد

يعد السومريون من بناء الحضارة الأوائل في بلاد الرافدين، فقد عملوا على تنظيم مناحي حياتهم المختلفة وبدأوها بإقامة معابد لهم في كل مدينة من مدنهم وكانوا يقدمون الدعم المالي لكل منها مع كهنتها وكان هذا الدعم يأتي من عوائد الأراضي التي استثمرها المؤجرون بعقود طويلة الأمد وقد تم توثيق هذه العمليات المالية على ألواح طينية ليفهمها الناس من غير المشاركين في تلك العملية⁽¹⁾.

وقد أدى تطور شؤون المعابد المالية وحاجتها الماسة إلى توثيق المعلومات بشكل أدق إلى تطور الرموز الاصطلاحية المفهومة من قبل سدنة المعابد إلى حد

(*) أستاذ مساعد - رئيس قسم الآثار - كلية الآداب / جامعة الموصل

(**) أستاذ مساعد - قسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) حين، ليث مجيد: الكاهن في العهد البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1991، ص 27.

- Landsberger. B. Materialine Zum sumerischen Lexilcon (1969, 1971) Msl, XII, col 139b., 98, XIII, 255a, p. 25.

كبير⁽²⁾ وهو ما استلزم من السومريين فتح مدارس للكتاب والنساخ الذين كانوا يقومون بمهمة كتابة تلك الوثائق الاقتصادية ولا سيما المتعلقة منها بالزراعة⁽³⁾، وواردات المعابد المتركمة في مخازنها وورشها.

إن استخدام تلك الرموز الاصطلاحية من السومريين كان فعلاً اختراعاً للكتابة في بلاد الرافدين⁽⁴⁾ ولذلك يمكننا القول إن السومريين هم أولى الشعوب التي ابتكرت واستعملت الكتابة قبل أي شعب آخر وفي أية بقعة من بقاع العالم القديم، وكانت أولى المعلومات التوثيقية مدونة باللغة السومرية وقد تم تأكيد ذلك منذ عام 1877 عندما بدأ الفرنسيون أولى حفرياتهم الناجحة في مدينة لكش السومرية بعد اكتشاف عدد كبير من تلك الوثائق المدونة بالسومرية⁽⁵⁾.

لقد استفاد السومريون كما فعل من تبعهم من الأكديين والبابليين والآشوريين من الطين كوسيلة للكتابة بدلاً من ورق البردي الذي كان يستعمل على نطاق واسع من قبل المصريين، وذلك لعدم وجود الحجر أو أي مادة أخرى قابلة للديمومة وحفظ وتوثيق السجلات السومرية عليها إذ كان الطين يعجن بصورة جيدة ويحول إلى أشكال مختلفة مربعة أو مستطيلة أو أسطوانية، وإلى ألواح صغيرة وكبيرة ثم تختم وتوضع عليها الرموز وهي لا تزال رطبة. ونظراً لسرعة جفاف الطين فقد

(2) Nissen, Hetal: Archaic Bookeeping. paul. Larsen, (Tr), University of chicago USA, 1993, pp. 105-106.

(3) Weut Zoldt, H. Das Schreiber Und Schreib-Wasenin Mesopotamien Helderberg (1972), p. 37. النعيمي، شيماء علي احمد: المناهج التعليمية في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 2001.

(4) Weut Zoldt, op. cit, p. 37.

(5) Gutes, Jeun key: Introduction to Librarian ship, 2nd, ed, New York, 1976, p. B.

استلزم الأمر دقة الكتابة وسرعتها عليه⁽⁶⁾. ويقول دوكلاس س. ماكورتزي بهذا الخصوص انه يوجد لدينا معلومات عن المكتبات السومرية القديمة اكثر مما هو موجود لدينا عن المكتبات المصرية وذلك لمقاومة الألواح الطينية المشوية عامل الزمن واكتسابها صلابة الطابوق بينما أصاب التلف معظم الوثائق المصرية التي دونت على ورق البردي والجلود⁽⁷⁾ من الطبيعي أن يتبنى البابليون الكتابة المسمارية من السومريين إلا أنهم استخدموا لغتهم الخاصة بهم للتدوين والتي تعود إلى مجموعة اللغات الجزرية فقد استقر هؤلاء البابليون على ضفاف وادي الفرات الأوسط في بداية الألف الثاني ق. م وسادت لغتهم أنحاء المنطقة⁽⁸⁾.

لقد استخدم البابليون ومن تبعهم زمنياً ومنهم الآشوريون الكتابة كما كان متوقعا لتوثيق مختلف الشؤون الحياتية كما هو الحال في الوقت الحاضر. ومن الميزات الأخرى التي تبنها البابليون من السومريين هو استعمالهم الألواح الطينية للكتابة عليها أيضاً، فمن المعروف ان أطنانا من الألواح الطينية ومن الأحجام والأشكال كافة كانت قد اكتشفت في مدينة بابل من قبل الهيئات التنقيبية وكانت محتوياتها تضم الوثائق المختلفة من العقود القانونية ونصوص المعاهدات، الأعمال العلمية، التاريخ، الدين، الأدب، شؤون القضاء، عقود المشاركة وحتى السندات⁽⁹⁾.

(6) سليمان، عامر: الكتابة المسمارية، الموصل، 2000، ص 71 – ص 82.

(7) Mc Murtri, Douglas: The Book, The Story of Book Making, London: Oxford University press, 1943, p. 10.

(8) Thompson, James, w.: Ancient Libraries, Hamdon, 1972, p. 4-10.

(9) Mc Murtri: op. cit., p. 14.

إن أغلب ما تم توثيقه عند السومريين والبابليين يمكن قوله عن توثيق المعلومات في العصر الآشوري إلا أن الآشوريين أضافوا بعض التطورات المهمة لما كانوا قد تبناه من السومريين والبابليين فعلى سبيل المثال طور الآشوريون نظام العلامات المقطعية المسمارية لنقل الألفاظ الصوتية كما استمر تداول العلامات الرمزية السابقة وتطويرها فقد طور الآشوريون أكثر من 500 علامة رمزية مع عدد كبير من المقاطع (المحددات) الصوتية⁽¹⁰⁾.

توثيق المعلومات: أهميتها واستخدامها

كان مجتمع بلاد الرافدين مجتمعاً متطوراً مما تطلب الحاجة لتوثيق المعلومات لأهميتها في مجابهة متطلبات ذلك المجتمع المعقد وتمشية شؤون الدولة ورفدها بالموظفين والنساخ الأدباء الذين اهتموا بتوثيق مختلف المعلومات وامتلكوا جميع المواصفات اللازمة لعقلية ذات توجه علمي فقد امتازوا بتطلع شديد لضروب المعرفة، ذلك التطلع الذي جعلهم يتوجهون إلى جمع الرقم الطينية القديمة وجلب نوعيات نادرة من المعلومات عن النباتات والحيوانات والمعادن غير المعروفة من مناطق تبعد كثيراً عن بلادهم⁽¹¹⁾.

كما امتلكوا أيضاً قوة الملاحظة النافذة ودرسوا الطبيعة بحماس مسجلين المعلومات لغرض توثيق فوائدها المعرفية الخالصة وقطعوا شوطاً في طريق

(10) Labat, R: Le caractere ReLigieux De la Royalte Assyro Bubyronienn, paris, 1939, p. 2-4.

(11) الجميلي، عامر عبدالله نجم: الكاتب في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى

جامعة الموصل، كلية الآداب، 2001، ص1.

المعرفة العلمية واتصفوا بالصبر والأنفة والولع بالتفاصيل التي تعكس بوضوح نشاطهم ابتداءً من مجموعة النصوص العامة وانتهاءً بنصوصهم العلمية وأعمالهم الفنية الرفيعة التي خلفوها لنا⁽¹²⁾.

فعلى سبيل المثال فإن مجال الرياضيات فيه تقدم البرهان باهتمام السكان بممارسة فن التفكير المجرد إلى درجة نادرًا ما وجدت عند سكان البلدان المجاورة في العصور القديمة⁽¹³⁾.

ونتيجة لكثرة النشاطات التي مارسها سكان بلاد الرافدين آنذاك والتي بلغت درجة من التطور والتعقيد فقد برز توثيق المعلومات حاجة ملحة لدعم تلك النشاطات والممارسات فاستخدمت تلك المعلومات لتدوين الأغراض الآتية:

1. المعلومات اللازمة لتدوين النشاطات الاقتصادية والإدارية.
2. المعلومات اللازمة لتدوين الأغراض القانونية والقضائية.
3. المعلومات اللازمة لتدوين الطقوس والمراسيم الدينية والكهنوتية.
4. المعلومات اللازمة لتدوين النشاطات العلمية المعرفية.
5. المعلومات اللازمة لتدوين الشؤون التعليمية.

(12) رو، جورج: العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، بغداد، 1984، ص 480.

(13) Mc Murtri, op. cit, p. 8.

المعلومات الاقتصادية الإدارية

إن النصوص المسمارية التي تزودنا بحقائق ومدلولات عن المعلومات الاقتصادية المدونة في بلاد الرافدين تندرج ضمن أصناف مختلفة كوصولات بمواد العمل التي كانت تسلم إلى الصناع وأصحاب الحرف وقوائم بجرد البضائع والمواد الثمينة⁽¹⁴⁾، ومن ذلك مثلاً تشكل السجلات (النصوص الأرشيفية) التي تمثلها آلاف الألواح المكتشفة في مدينة لگش ثروة من المعلومات الموثقة التي تخص مختلف المظاهر الاقتصادية لأعمال المزارع الكبرى فضلاً عن أصناف الحرف والأعمال والمداولات التجارية وما يرتبط بها من معلومات حسابية تضمنتها هذه السجلات والتي تحدد توجهات العلاقات الإنتاجية في المجتمع السومري خلال سلالة أور الثالثة كما تحدد بعض الوثائق الاقتصادية من هذه السجلات الوقت المحدد لممارسة كل الأعمال بالأيام والشهور أحياناً⁽¹⁵⁾.

وعلى صعيد النشاطات الإدارية فقد وجد الموظفون الذين كانوا يعملون في القصور والمعابد أنفسهم بحاجة إلى سجلات موثقة لحفظ ما بحوزتهم من معلومات تخص الضرائب والمدخولات الملكية والكهنوتية وورشات العمل وكذلك توزيع

(14) حمود، حسين ظاهر: التجارة في العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة الموصل، 1995، ص 50.

(15) المتولي، نواله احمد: مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1994.

ستروف، ف.ف: بعض المعلومات الجديدة عن تنظيم العمل والكيان الاجتماعي في سومر (أثناء حكم سلالة أور الثالثة) في: العراق القديم، ترجمة: سليم طه التكريتي، 1986، ص 169- ص 262.

المواد والحصص على العمال والصناع وأصحاب الحرف وقد كان هؤلاء الموظفون يمارسون مسؤولية إعداد هذه السجلات وإدارتها ومن أمثلة النشاطات الإدارية التي كان يمارسها أولئك الموظفون آنذاك والتي لا زالت تمارس في مجتمعاتنا حتى الوقت الحاضر هي مسك السجلات الخاصة بإدارة الدولة⁽¹⁶⁾. إذ كان هناك كتاب مسؤولون عن تسجيل أسماء الأفراد كافة الذين يولدون والذين يموتون يوميا وهذا يشبه ما تقوم به دوائر النفوس في الوقت الحاضر. كما أن هناك وثائق أولية عثر عليها في مدينة لكش تشبه إلى حد كبير الأضابير الشخصية الحالية للموظفين تسجل مثل هذه الوثائق بدقة متناهية مدة مرض هذا أو ذاك من العمال العاملين في مزارع الدولة أو مدة انقطاعه عن العمل كما تسجل انتقال هذا العامل أو ذاك الموظف من مكان عمله إلى مكان آخر وتصف قوة عمله⁽¹⁷⁾.

وبما أن المعبد في بلاد الرافدين كان يمثل محور النظام الإداري والاقتصادي خلال العصور المبكرة فقد كان بمثابة المركز التوثيقي للمعلومات الإدارية والاقتصادية والكفيل الخاص للأشغال العامة وقد اقتضت حاجة هذه المعابد آنذاك أن تكون لها فئة من الإداريين فعلى سبيل المثال تشير النصوص المكتوبة المكتشفة في المعبد القديم الذي يدعى (أي – انا) في مدينة الوركاء وجود مثل هذه الفئة المتعلمة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد⁽¹⁸⁾، كما نص بوجود نظام تعليمي كانت تشرف عليه تلك الفئة⁽¹⁹⁾

(16) الجميلي، المصدر السابق، ص34.

(17) المصدر نفسه، ص 40 – ص 74.

(18) تيبوضيف: اقتصاد الدولة في سومر القديمة: في: العراق القديم، ترجمة: سليم طه التكريتي، 1986، بغداد، ص100.

كما يتضح من دراسة بعض الرقم الطينية الأخرى المكتشفة التي تعني بالقضايا الاقتصادية والإدارية من وجود طبقة متخصصة بالأعمال الإدارية والاقتصادية وعلى مستوى عال، وقد كان معظم هؤلاء المختصين يعملون في المعابد والقصور ويشغلون مناصب استشارية لتقديم المعلومات الإدارية والاقتصادية للملوك وموظفي البلاط وكان قلة منهم تجد مكانها في قمة البروقراطية أما الآخرون فكانوا يشتغلون في أعمال السكرتارية بينما عمل بعضهم الآخر كمدرسين محترفين كرسوا أنفسهم للتعليم⁽²⁰⁾

فقد كانت المعلومات الاقتصادية والإدارية تشغل جزءاً مهماً من مناهج التدريس في المدارس إذ أمكن العثور على نصوص مكتوبة هي عبارة عن أسئلة امتحانات للطلبة تتعلق بكيفية إعداد الوثائق والسجلات ونماذج من الأسئلة الامتحانية تخص تعداد أصناف الكهنة والحرف المختلفة⁽²¹⁾.

المعلومات القانونية والقضائية

أما على صعيد النشاطات القانونية والقضائية فقد لعب القانون المكتوب دوره الكبير في تنظيم حياة المجتمع وخلال جميع المراحل الحضارية التي شهدتها تاريخ العراق القديم.

(19) النعيمي، شيماء: المصدر السابق، ص 5.

(20) الجميلي، المصدر السابق، ص 7.

(21) النعيمي، شيماء: المصدر السابق، ص 12.

ويمكن تمييز هدفين مباشرين من وراء إصدار وتسجيل هذه المواد القانونية هما:

1. الممارسات الشفوية من خلال حفظ المواد القانونية وتوثيقها على شكل معلومات مدونة يمكن الرجوع إليها وتطبيقها عند الحاجة⁽²²⁾.

2. وضع البنود القانونية ضمن خط يساير في كل مرحلة طبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية ومتغيراتها وهذا يعني أن توثيق النصوص القانونية كانت تخضع لدراسة مستديمة وإعادة نظر من المشرعين القدماء لكي ينسجم دائما ومتطلبات المجتمع وظروفه المتغيرة⁽²³⁾.

لذا فقد وثقت مجاميع هذه القوانين والتي تعد الأقدم في العالم قاطبة فالنصوص المسمارية التي عثر عليها في مدينة لكش والتي ترقى بتاريخها إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وتضم بينها أولى المحاولات البشرية التشريعية المعروفة حتى الآن كما تمثل أقدم القوانين المدونة وقد تناولت هذه المجموعة القانونية عددا من الأمور التشريعية كتحديد عقوبة السارق بالرجم وعقوبة المرأة التي تتزوج من رجلين وغير ذلك⁽²⁴⁾.

ومن البنود القانونية المهمة الأخرى التي وصلتنا من عصر سلالة أور الثالثة السومرية فيما بعد هو ما عرف بقانون أور – نمو مؤسس السلالة (2113 – 2095 قزم) وتأتى أهمية هذا القانون من كونه يمثل المبادئ القانونية

(22) سليمان، عامر: القانون في العراق القديم، موصل، 1977، ص 205.

(23) المصدر نفسه، ص 200 – ص 206.

(24) المصدر نفسه، ص 206.

السومرية التي تأخذ بمبدأ التعويض خلافاً لقانون حمورابي الذي أخذ بمبدأ القصاص⁽²⁵⁾.

أما قانون حمورابي من العصر البابلي القديم فهو اكمل وانضج قانون مكتشف حتى الآن وقد نقشت مواد هذا القانون البالغة 282 مادة على مسلة كبيرة من الحجر تعالج مواده مختلف الجنح والقضايا المتعلقة بالأعمال والتجارة والزواج والعائلة والملكية فضلاً عن تناوله أجور وواجبات الحرفيين والمسائل المتعلقة بالزراعة ومعدلات التأجير وبيع العبيد وشرائهم والمسألة المهمة التي يجب أن نؤكد عليها في موضوعنا هي ان شرعي بلاد الرافدين قديماً تعاملوا مع القوانين والنصوص القضائية المدونة كمعلومات موثقة فلم يكتفوا بتشريع القوانين وتدوينها بل كانوا يعكفون على دراستها وتعديلها لكي يتلاءم مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية المتغيرة من عصر إلى آخر⁽²⁶⁾.

وكانت المحاكم تحتفظ بالنصوص القضائية المدونة على شكل معلومات أرشيفية يمكن الرجوع إليها كلما دعت الحاجة إليها فقد عثر على سبيل المثال على مجموعة كبيرة من النصوص القضائية الخاصة بالمحاكم السومرية وتمثل هذه النصوص التي تسمى (بالقضايا السابقة) أو (قضايا المحاكم) سجلات للقضايا التي سبق للمحاكم السومرية ان نظرت فيها واتخذت بشأنها القرارات، فكل رقيم منها يحمل معالجة لإحدى القضايا التي نظرتها المحاكم مع ذكر أسماء الشهود وشهاداتهم وأسماء المدعي والمدعي عليه وإفادتهم وأخيراً الحكم الذي أصدرته

(25) رشيد، فوزي؛ الشرائع العراقية القديمة، بغداد، 1979، ص 26.

(26) Driver and Miles, The Babylonian Laws, Oxford, vol. 1, 1952.

المحكمة بشأن تلك القضية وتاريخ ذلك. وتفيد هذه النصوص كثيرا في معرفة كيفية تطبيق القانون آنذاك⁽²⁷⁾.

المعلومات ذات العلاقة بالمراسيم والطقوس الدينية

اهتم السكان في بلاد الرافدين قديما بالمعلومات الدينية والكهنوتية أيضا ودونوها على ألواح طينية كانت تحفظ داخل أروقة المعابد. فكان المعبد مركزا ثقافيا ودينيا يتعلم ويتدرب فيه الكهنة والكتبة وتوثق وتحفظ فيه مختلف النصوص الدينية والأدبية ومن هذه النصوص القصص والأساطير الدينية والملاحم والتراتيل والصلوات وجداول بأسماء الآلهة والعفاريت الشريرة والخيرة، ونصوص الفأل وقراءة الطالع والنصوص السحرية ونصوص خاصة بكيفية إقامة الشعائر الدينية وأخرى خاصة بالاحتفالات الدينية والأعياد ونصوص الرقي والتعاويذ وغيرها⁽²⁸⁾. وكان لسكان العراق القديم عامة تراث فني زاهر في أدب المراثي وأغاني الحب والتهويدات ومجاميع من المراسيم ذات العلاقة بالنصوص الدينية وغيرها.

ويشير اوبنهايم بهذا الخصوص إلى ان أحد أهداف التسجيلات الدينية من قبل سكان الرافدين كان المحافظة على التقاليد الموروثة والمعتقدات والشعائر السائدة والادراكات الحسية وليس للعمل على تكييفها وتقريبها من الواقع وان توثيق هذه النماذج الكهنوتية لمنع تغيير مفاهيمها تحت أي ظرف داخلي فضلا عن

(27) الطالب، أحلام سعد الله صالح: نظام التقاضي في العراق القديم/ دراسة مقارنة مع بقية بلدان

الشرق الأدنى، رسالة دكتوراه غير منشورة/ جامعة الموصل/ كلية الآداب/ 1999.

(28) باقر، طه: مقدمة في آداب العراق القديم، بغداد، 1976، دار الحرية للطباعة، ص32.

تحديد عمل الاختصاصيين في عالم الأديان ومنعهم من إعادة تفسير قصة ما وتزويقها أو تحويلها إلى الحد الذي يعمل على تشويهها.⁽²⁹⁾ أما النصوص الأدبية المدونة فهي تقترب في طبيعتها وأسلوبها من النصوص الدينية وذلك من خلال دراسة الأساطير والملاحم المعروفة التي يغلب عليها الطابع الديني، ومن أشهرها نذكر هنا بعض الأساطير والملاحم التي تتمثل فيها عناصر مهمة من حضارة بلاد الرافدين مثل أسطورة الخليفة البابلية وملحمة كلكلمش البابلية وقد كتبت هذه الأساطير والملاحم بأساليب أدبية فلسفية رائعة⁽³⁰⁾، ومن ناحية أخرى ان ما وصلنا من نصوص وما دأب العلماء على ترجمته بألوان من التسجيلات الأدبية البحتة التي نستطيع ان نميز منها عدة نماذج يمكن وضعها في مجموعات مميزة فهناك الأدب التاريخي وأدب الرسائل والأدب الفلسفي والشعر⁽³¹⁾.

وعلى صعيد المعلومات التاريخية فقد اهتم مؤرخو بلاد الرافدين إلى درجة بتوثيق الأحداث والإنجازات المختلفة ونظموها في سلسلة متصلة مؤرخين بها تأريخ حكم الملوك وما قاموا به من إنجازات وما شنوه من حروب وحملات ضد أعداء البلاد وتسجيلات المراسلات الملكية ويسمي المؤرخون هذا النوع من الوثائق التاريخية (بتأريخ الحروب) ولدينا أمثلة كثيرة وأقدمها تعود إلى فجر التاريخ أي إلى الألف الثالث ق.م وهي تعد مصدرا مهما لتوثيق الأحداث التاريخية

(29) وبنهايم، ليو: بلاد ما بين النهرين: ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، 1981، ص 295.

(30) باقر، المصدر السابق، ص 39.

(31) المصدر نفسه، ص 42-43.

ويشمل ذلك النصوص البابلية التاريخية⁽³²⁾، والحوليات الآشورية التي كانت تعنى بأخبار الحملات العسكرية وتبدأ برسالة موجهة إلى كبير آلهة آشور وإلى الألفاظ الأخرى ثم تردف بعد ذلك بتحية لأهل المدينة والسؤال عن سلامتهم وبلي ذلك تفصيلات الحملة ثم نتائجها⁽³³⁾.

ودون شك فإن هذه الحوليات الملكية تعد من الوثائق التاريخية المهمة التي استخدمها مؤرخو بلاد الرافدين قديماً لسرد الأحداث التاريخية في حكم كل ملك من الملوك عاماً بعد عام في ترتيب تاريخي⁽³⁴⁾، إذ تقدم لنا هذه الحوليات ووثائق معلوماتية ثمينة عن الأحداث وترتيبها الزمني فضلاً عن الوصف الجغرافي أحياناً لبلدان أخرى في الشرق القديم، ومن أشهر الحوليات الخالدة حوليات شلمنصر الثالث التي دونت على مسلته المشهورة وتضمنت أحداث واحد وثلاثين عاماً من حكمه⁽³⁵⁾.

(32) باقر، طه وصالح، عبد العزيز حميد: طرق البحث في التأريخ والآثار، الموصل مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1980، ص18.

- سليمان، عامر: العراق في التأريخ القديم (موجز التاريخ السياسي) ج1، مطبعة جامعة الموصل، 1991، ص43.

(33) ساكز، هاري: قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1999، ص132، ص36.

(34) إسماعيل، شعلان كامل: الحياة اليومية في البلاط الملكي الآشوري، أطروحة دكتوراه غي منشورة، جامعة الموصل، 1999، ص107.

(35) حازم، حسين يوسف: الملك الآشوري شلمنصر الثالث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 2001، ص3-98.

وهناك بعض الأنواع الأخرى من الوثائق التاريخية كالتقارير التي تجمع فيها الأحداث طبقاً للأقاليم التي وقعت فيها تلك الأحداث مثل التقارير الموجهة إلى الإله آشور بعد العودة من الحملات.

فضلاً عن نصوص المراسلات بين الملوك والحكام في الأقاليم التابعة لهم عن أوضاعها السياسية⁽³⁶⁾.

ومن نماذج التوثيق المعلوماتي الأخرى التي نظمها المؤرخون القدامى ما يمكن أن نسميه بقوائم أو جداول الملوك وهي عبارة عن ثبت بإدارة الملوك والسلالات وسني حكمهم مرتبة بتسلسل تاريخي، ومن أشهر هذه الجداول قاطبة وثيقة تقدم لنا قائمة بإدارة الملوك الذين حكموا منذ أقدم العصور الملكية تلك هي قائمة الملوك السومريين الشهيرة التي عنى بترتيبها وطبعها الأستاذ جاكوبسن مستنداً إلى خمسة عشر نصاً⁽³⁷⁾. إن الأهمية التاريخية العلمية لهذه القائمة لا تقدر بثمن إذ لا تكفي بتضمين وتلخيص التراث السومري السحيق من القدم فحسب بل تقدم أيضاً إطاراً تاريخياً يمكن أن ترتب فيه معظم الأساطير العظيمة للعصر البطولي السومري بشكل متسلسل⁽³⁸⁾.

وهناك نوع آخر من الجداول التاريخية خلفها الآشوريون بشكل خاص وتعرف هذه الجداول لدى الباحثين باسم (التاريخ المعاصر) إذ ذكر فيها أسماء

(36) الجميلي، المصدر السابق، ص 62 - ص 63.

(37) المصدر نفسه، ص 49.

(38) سليمان، عامر، موجز التاريخ السياسي، المصدر السابق، ص 63.

الملوك الآشوريين وإلى جانبهم معاصريهم من الملوك البابليين مع إيجاز طبيعة العلاقات السياسية السائدة بين البابليين والآشوريين⁽³⁹⁾.

توثيق المعلومات العلمية (البحث والتطبيقية)

إن الكتابة استخدمت لتدوين ما نسميه في الوقت الحاضر بالمعلومات العلمية منذ عصور قديمة في بلاد الرافدين وقد استمر هذا الاستخدام حتى فترة متأخرة من تأريخها⁽⁴⁰⁾ وتشهد النصوص المدونة والمخلفات الأثرية على الشوط العظيم الذي قطعه العلماء قديماً في علم الفلك والرياضيات والهندسة والكيمياء والحيوان والنباتات ... الخ. ولم تمارس هذه العلوم على أساس من السحر والشعوذة على الرغم من أن السحر بمعناه الدقيق كان وثيق الصلة بالمعتقدات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية على حد سواء كما أن فن التنجيم قد تطور تدريجياً في أرض الرافدين منذ وقت بعيد واستمر يمارس على مر العصور إلا أن ترك الممارسات السحرية لم يصل إلى درجته القصوى إلا في نهاية العصر السلوقي⁽⁴¹⁾، ففي حقل الفلك قام علماء بلاد الرافدين بمتابعة حركات الكواكب التي تحدث بين شروق وغروب الشمس والقمر وكانت معلومات هؤلاء العلماء لحركات الكواكب قد مكنت منجمي العهود المتأخرة من عرض أحداث خاصة لحركة الأجرام السماوية على شكل مصطلحات رياضية وبذلك تمكنوا من تزويد المنجمين اليونانيين بمادة مهمة

(39) الجميلي، المصدر السابق، ص 63.

(40) الراوي، فاروق: العلوم والمعرف، حضارة العراق، ج2، الفصل الثامن، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1985.

(41) المصدر نفسه، الفصل الثامن.

من المعلومات الفلكية، ومنذ وقت بعيد استطاع الفلكيون في بلاد الرافدين من تحديد مسارات الشمس والقمر والكواكب السيارة وقسمت هذه الطرق إلى اثنتي عشرة محطة والتي قسمت بدورها إلى ثلاثين درجة وهذا هو الأصل في دائرة الأبراج المعروفة ولقد برع رجال الفلك آنذاك أيضا في مجالات الارصادات الفلكية ومن ابرز الأمثلة على ذلك الارصادات المطولة التي جمعها ودونها البابليون عن شروق كوكب الزهرة وعلاقة ذلك بالشمس⁽⁴²⁾.

كما استطاع الفلكيون البابليون بواسطة الحسابات الرياضية ان يتنبأوا بحدوث بعض الظواهر الفلكية مثل الخسوف والكسوف وضبط التقويم السنوي وأحوال الليل والنهار حسب الفصول وقد انتقلت تلك المعلومات الموثقة البارعة إلى اليونان مما حدا باليونانيين ان يطلقوا على الفلك البابلي مصطلح العلم الكلداني فقد سجل الفلكيون في بلاد الرافدين كل الظواهر الفلكية وحركة الأجرام السماوية التي كانوا يشاهدونها ولو لم يحتفظوا بتلك التسجيلات بشكل معلومات موثقة لمن يأتي من بعدهم من الفلكيين وبذلك استطاع الفلكيون ان يتوصلوا إلى كل تلك الإنجازات الفلكية التي لا بد أن تكون قد أنجزت بفضل الارصادات المطولة التي تراكمت بشكل وثائق مدونة⁽⁴³⁾ كذلك سجل علماء بلاد الرافدين أيضا معلوماتهم في حقل الرياضيات في نوعين رئيسيين من النصوص هما: أولا الجداول المستعملة في عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة والجداول التي دونت مربعات

(42) Gates, Jeankey, Introduction to Librarian ship, Zended, New York, Megraw-Hill, 1976, p. 188.

(43) كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، 1986، دار الشؤون الثقافية، ص 377.

ومكعبات الأعداد والجداول الأساسية وقوائم الأعداد⁽⁴⁴⁾، وقد استخدمت الوظائف الاسية لغرض تقدير نسبة مشتركة⁽⁴⁵⁾ ومن الجداول التي دونها البابليون جداول الضرب المطولة والجداول المستعملة لرفع الأعداد إلى القوى المختلفة وجداول للجذور وأحياناً لبيان معكوسات الأعداد أما النوع الثاني من النصوص الرياضية فهي نصوص المسائل الرياضية وهي عبارة عن تمارين أعدت أحياناً للطلاب المتقدمين في العلوم الرياضية وأحياناً أخرى كرياضة فكرية محضة⁽⁴⁶⁾. وتحدد هذه النصوص المسائل الرياضية عن طريق تقديم حقائق وأعداد ثم تصف بعد ذلك الطريقة لحل كل مسألة بطريقة الخطوات وقد دونت في هذه النصوص أحياناً مسائل رياضية كثيرة دون الإشارة إلى خطوات حلها.

توثيق المعلومات الطبية

كان الطب في بلاد الرافدين يقسم إلى قسمين منعزلين بكل وضوح وقد أطلق على القسم الأول تسمية (المدرسة العلمية) والتي تهتم بتشخيص الأمراض باستخدام قوائم ثابتة بالأعراض المرضية وفحص المريض بكل دقة وقياس حرارته ونبضه الخ.

(44) Oates, Joan: Babylon. London, Thames and Hudson, p. 148.

(45) إسماعيل، خالد سالم: مظاهر التوحيد في العلوم الصرفة، بحث مقدم إلى ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين، المجمع العلمي، بغداد، 2000.

(46) الراوي، المصدر السابق، الفصل الثمن، الرياضيات.

— إسماعيل، خالد سالم: أسماء الأعداد في مدونات العراق القديم ومدونات البلدان المجاورة بين النهرين، 2002/6/15.

أما القسم الثاني فهو (المدرسة العلمية) التي يمثلها متعاطو مهنة الطب وتهتم هذه المدرسة بمعالجة الأمراض وإجراء العمليات الجراحية⁽⁴⁷⁾. ولقد بدأت أعمال كلتا المدرستين في العهد البابلي القديم وتم إثباتها في عدد من الألواح الطينية والتي وردت من مصدرين أساسيين أولهما مجاميع الألواح التي عثر عليها في مدينة آشور وثانيهما تلك التي جاءتنا من مكتبة آشور بانيبال فضلاً عن ذلك فقد زخرت المكتبات القديمة الأخرى في المعابد والقصور الملكية المختلفة بآلاف من الوثائق الطبية التي تضم عناوين مختصرة ومجاميع وصفات مختلفة ودراسات الأدوية والعقاقير المعروفة آنذاك وقوائم بالأدوات الطبية المستخدمة كما أن مجاميع من نصوص المراسلات الملكية التي جاءتنا من البلاط الآشوري والتي قدمت أكثر المعلومات عن الممارسات الطبية والعناية بمرضى القصور فضلاً عن ذلك فقد تضمنت العديد من النصوص بمعلومات طبية أخرى⁽⁴⁸⁾.

لقد تميز كتاب بلاد الرافدين من الأطباء بالتوسع في تسجيل مهاراتهم ومعلوماتهم عن طريق إدخال ملاحظات ووصفات طبية للأمراض المختلفة وعلاجاتها في قوائم أو مجاميع كاملة من الوثائق المدونة وقد استخدمت تلك الوثائق

(47) عبدالرحمن، يونس عبدالرحمن: الطب في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 1989، ص 5.

(48) اوبنهايم: المصدر السابق، ص 379.

– لابات، رينه: التشخيص والإنذار في الطب الأكدي، ترجمة: عبداللطيف البديري، بغداد، 1976، مطبعة المجمع العلمي، ص 9 – ص 134.

من الأجيال المتعاقبة كمصادر للمعلومات الطبية⁽⁴⁹⁾. وبهذه الطريقة تم حفظها من الضياع عبر العصور، وهكذا تتضح أهمية تدوين المعلومات والاحتفاظ بها.

دور المدارس القديمة في توثيق المعلومات

كان للمعلومات أهمية بالغة في نقل المعرفة والعلوم ونشرها مع الأجيال وتؤكد المصادر على أن بلاد الرافدين كانت المهد الأول لنشوء المؤسسات التعليمية والمدارس فالنصوص والمخلفات الأثرية التي تم اكتشافها في المواقع الأثرية توضح وجود مؤسسات تعليمية رسمية في بلاد سومر القديمة في مرحلة زمنية مبكرة (الألف الثالث ق.م) وهي مسألة تدعو إلى الاندهاش حيث تسبق هذه الفترة الأزمنة البابلية القديمة (2000 سنة ق.م)⁽⁵⁰⁾، ويؤكد ذلك الباحث أرمن الذي يشير إلى أن أول مصطلح للمدارس قد تم تسجيله هناك وفي عصر حمورابي (أواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد) ظهرت في بابل مؤسسات رسمية متطورة كانت وظيفتها تعليم الناشئة، وكانت هذه المؤسسات مزدهرة ومنتشرة في طول البلاد وعرضها وفي كل المراكز المدنية والدينية المهمة أما في بلاد آشور فقد نشأت المدارس كمؤسسات رسمية ملحقة بالمكتبات المنتشرة في نواحي المدن الآشورية كافة⁽⁵¹⁾.

(49) البديري، عبد اللطيف: من الطب الآشوري، بغداد، 1976، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ص20.

(50) النعيمي: المصدر السابق، ص15.

(51) Erman, Johan, A: The Ancient Egyptians, London, 1927, p. 68.

وليس هناك أية مؤسسات منفردة ساهمت في حفظ الماضي العريق لبلاد الرافدين كما فعلت المدارس فضلاً عن الهدف الرئيس لتلك المدارس في تدريب الكتاب⁽⁵²⁾ فقد اتسع دورها لتصبح مراكز للتعليم بكل جوانبها بحيث أصبحت أدوات ذات أثر فعال في نقل المعرفة والأدب إلى الأصقاع الأخرى من غرب آسيا⁽⁵³⁾. فقد أدى التطور المبكر للتجارة والتقدم اللاحق في عموم مناحي الحياة إلى انتقال نظام الكتابة المسمارية إلى بلاد عيلام وبلاد الشام وآسيا الصغرى، وقد ثبتت هذه البلدان أيضاً نظام التعليم الذي كان شائعاً في بلاد الرافدين⁽⁵⁴⁾، ولم يقتصر هدف هذه المدارس على إعداد الكتاب والنساخ ليشغلوا المناصب الإدارية ومناصب الخدمة المدنية في الدولة بل نما ذلك الهدف فأصبحت المدارس من خلال تطورها وانتعاشها وتطور مناهجها مراكز ثقافية للتعليم تخرج منها علماء كانوا يتقنون علوم الدين والتشريع والحيوان والنبات والكيمياء والرياضيات والفلك وكانت لهم مناصبهم المرموقة في الدولة آنذاك⁽⁵⁵⁾.

لقد كان التعليم في بلاد الرافدين مقسماً على مراحل متعاقبة وكانت هذه المراحل تبدأ بتعلم الكتابة (الخط) وعلى المبتدئ خلال هذه الفترة أن يتعلم السومرية والبابلية وكانت الخطوة الأولى في التعليم الأولى تتمثل بقراءة وكتابة العلامات البسيطة وكتابتها مع إدراك قيمتها الصوتية ثم ينتقل الطالب إلى المرحلة الثانية وهي محاولة استعمال مجاميع العلامات والصيغ المتداولة وتكوين الجمل

(52) الجميلي: المصدر السابق، ص 1 - ص 3.

(53) الطائي، ابتهاج عادل: أصالة الحضارة العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة

الموصل، 1996، ص 126.

(54) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية...، المصدر السابق، ص 27 - ص 29.

(55) الجميلي: المصدر السابق، ص 18 - ص 37.

منها وكان يتلقى إلى جانب ذلك دروساً في النحو في ضوء صيغ مختلفة من تصنيف الأسماء والأفعال ثم تعقب هذه المرحلة مرحلة أخرى تتناول معرفة الموازين والمكاييل والمقاييس ... وغيرها⁽⁵⁶⁾.

أما التعليم العالي فكان يتطلب توسعاً في العلوم الرياضية والطب والفلك والقانون وهنا تبدأ مرحلة جديدة تكمل المراحل السابقة وهي مرحلة التخصص إذ كان يوجه الطالب إلى التخصص في ناحية واحدة من هذه النواحي ليتابع دراستها في دور خاصة أطلق عليها دور العلم والحكمة⁽⁵⁷⁾، وقد أشير في النصوص إلى عدد من المدارس العالية منها بيت الألواح ودور حفظ الوثائق الملحقة بالمعابد المهمة أحياناً وبالقصور الملكية أحياناً أخرى فضلاً عن تدريس المعارف فيها فقد كان يتم فيها استنساخ وثائق جديدة مما يحفظ في هذه الدور لتودع في مكتبات أخرى والظاهر أن المناهج المقررة للتعليم في هذه المدارس العالية كانت شاملة وصعبة وواسعة النطاق لذلك كان التعليم يدوم فيها لفترة طويلة وكان على الطالب أن يحضر إلى المدرسة في الصباح الباكر ويبقى فيها حتى غروب الشمس⁽⁵⁸⁾.

لقد تضمنت مناهج التعليم حشداً واسعاً من الموضوعات كان من أبرزها كتابة الرسائل وأعداد السجلات ونقش المسلات وكان لموضوع مسح الأراضي

(56) سليمان، عامر: اللغة الأكديّة، الموصل، 1991، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ص 164 – ص175.

(57) المصدر نفسه، ص 165.

– الراوي، فاروق: المدرسة في العراق القديم، بحث غير منشور مقدم إلى جامعة بغداد، 1989، ص 5 – ص6.

(58) Sasson, Jack, M: Civilizations of the Ancient Near East, vol,IV, London, 1995, p. 226g.

- Oates, op. cit, p. 163.

مكانته في منهج الدراسة حيث كان الطالب يتلقى إلى جانب الدراسة النظرية تطبيقات عملية حول مسح الحقول باستخدام أشرطة القياس وأدوات المسح الأخرى كالسلاسل والأوتاد أما بخصوص الرياضيات فقد شملت المناهج مواضيع كثيرة كالعلاقات المتبادلة وأسس الحسابية وموازنة الحسابات الاعتيادية والإدارية وحساب التخصصات وقياس الأشكال المسطحة وحساب الحجم وقد كشفت الكثير من الألواح الطينية عن نماذج من الأسئلة التي استعملت في امتحانات الطلاب منها مسائل تحل باستخدام معادلات الدرجة الثانية والثالثة⁽⁵⁹⁾.

وقد كرس طلاب بيت الألواح الكثير من وقتهم لدراسة الصيغ الشرعية والقانونية ومع أن الكتبة لم يشغلوا أنفسهم لكي يكونوا على مستوى المعنيين بقضايا المحاكم إلا أنه كان من المؤمل منهم ان يكونوا على اتصال وثيق بالقوانين وصيغ المراسيم الملكية و مصطلحاتها حيث كانت مجموعات من القوانين دونت بتفصيلات دقيقة قواعدية وبأسلوب أدبي راق ترسم خطواتها العريضة في المدارس وتدرس بكلتا اللغتين السومرية والاكديّة وكانت القوانين السومرية والبابلية المشهورة مثل قانون اورنمو وقانون حمورابي تدرس في المدارس ضمن المناهج المقررة⁽⁶⁰⁾.

ومن المواضيع التي تضمنتها المناهج في المدارس هي الدراسات النحوية والمعجمية للنصوص بشكل عام وقد خلف لنا البابليون من المؤلفات المدرسية ما

(59) لوكاس، كرسنوفر: حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة:

يوسف عبدالمسيح ثروت، بغداد، دار الجاحظ، 1980، ص 24 - ص 45.

- روثن، مارغريت: علوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد

للنشر، 1980، ص 120 - ص 121.

(60) لوكاس: المصدر السابق، ص 45.

يمكن ان نسميه بالمعاجم اللغوية، وهي عبارة عن جداول بالعلامات المسمارية ومعانيها باللغتين السومرية والأكدية، وهناك معاجم أخرى خاصة بشرح الكلمات وشرح قواعد اللغة السومرية أو الأكدية وجداول أخرى بإدارة الحيوانات والنباتات والأحجار وأعضاء جسم الإنسان وغيرها⁽⁶¹⁾، وكان على الطلبة حفظ مثل هذه الجداول والاستعانة بها عند القراءة وكلما تقدم الطالب في النصوص المعجمية والنحوية إلى النماذج النثرية والشعرية اتخذت دراسة الأدب دوراً أهم من برامج الدراسات، كما ادرج أسلوب إملاء الفقرات الأدبية ضمن مناهج بيت الألواح في وقت متأخر نسبياً، أما الممارسة التطبيقية لاستخراج نسخ طبق الأصل من الوثائق الأصلية فقد سبقت الإشارة لها وأصبحت قيد الاستخدام منذ العصور البابلية المبكرة والعصور التي تلتها وقد برزت هذه الممارسة عند الآشوريين أكثر من غيرهم⁽⁶²⁾.

ومن المواضيع الأخرى التي شملتها المناهج في مدارس بلاد الرافدين الهندسة التي كانت تدرس كتطبيق لمادة الجبر والكيمياء وما تتطلبه من تطبيقات عملية في مزج المعادن وصناعة العقاقير والعطور فضلاً عن الجغرافية والتاريخ والفلك والعلوم الأخرى التي كانت شائعة آنذاك⁽⁶³⁾.

أما الوسائل المستخدمة في تعليم طلبة المدارس وبيوت الألواح فقد شملت إلى جانب الكتابة على الألواح الطينية أو استخدام النصوص المكتوبة الموجودة لدى المدارس و المكتبات وسائل مادية أخرى يمكن أن نطلق عليها (الوسائل البصرية) ففي التعليم الطبي مثلاً استخدمت أعضاء الحيوانات إذ تحتوي المعلومات التي

(61) Oates, op. cit, p. 164.

(62) لوكاس: المصدر السابق، ص 47.

(63) المصدر نفسه، ص 47.

وردت في بعض الألواح الطينية على مصورات لشرائح المصطلحات الطبية الصعبة الفهم، مثل الأشكال التي تخص الأحشاء الداخلية والتي كانت تستخدم كوسائل إيضاحية إلى جانب النصوص المدونة⁽⁶⁴⁾، ان بعض النماذج الطبية للكبد والرئتين جاءت متقنة جداً فقد وجد أنموذج لشكل الكبد الذي يعود إلى العصر البابلي القديم بتفاصيله المتقنة في المتحف البريطاني، ومن بين النماذج الأخرى التي وجدت في ماري من العصر الأكدي القديم أيضاً أنموذج لشكل الكبد أيضاً وكما يبدو انها كانت تعود لإنسان تعرض إلى حادثة وتوفي لذا فقد استخدمت هذه النماذج ذات الأبعاد الثلاثة للتعليم في المدارس⁽⁶⁵⁾.

(64) اوبنهايم، المصدر السابق، ص 271.

(65) المصدر نفسه، ص 271. - روثن، المصدر السابق، ص 60.

Abstract

The Ancient information document on system in Mesopotamia

Dr. H. D. Hmood (*)

S. A. Ismail (**)

Mesopotamian community was a developed community, consequently, it was necessary to create a documentation system to satisfy the needs of that society and manage the government affairs and supply it with officers, clerks, and scholars who were efficient and had the needed qualifications to collect information, classify it, and write it down on clay tablets.

The Mesopotamians had practiced many different activities which were so developed and complicated, accordingly, the documentation system was a vital factor to write:

1. Information needed for economic activities.
2. Information needed for laws and legislations.
3. Information on hymns, Omens and other religious purposes.
4. Information on scientific activities.

(*) Assistant, Professor, Department of Archaeology, College of Arts.

(**) Assistant, Professor, Department of Librarianship and Informational Sciences College of Arts.

5. Information needed for teaching purposes.